تاريخ الطباعة العراقية

Histoire de la Presse en Mésopotamie.

مطابع العراق وثمراتها

(من سنة ١٨٥٦ الى سنة ١٩٢٦)

ـ ١ ـ

١ ـ تمهيد

اختراع الطباعة [١]

من العجائب في الحضارة الحالية ان يتسع نطاق العلم، وتنتشر المعارف في القرون الواغلة في القدم يوم لم يكن لدى البشر قرطاس يسطرون عليه خواطرهم، ولا ملكت ايمانهم رقوقا يدونون على صفحاتها معارفهم .

ان تخطينا القرون الاولى الى القرون الوسطى، حينما اشرق للحضارة شمس منيرة، ولاسيما في هذه الربوع المباركة، حيث ارتفع

والكافر والكفار . والكلة لهذا الستر الرقيق . والكلام وان قالوا في الكلمة جلمة بالجيم الفارسية . والكنز والكنوز . والمكنسة . والكون ، بمعنى الحرب والفتنة. والكيف بمعنى المسرة واذا استعملوا اسم استفهام قالوا جيف (بالجيم الفارسية) .

واعلم ان جميع ما ذكرناه في هذا الباب من الافعال والاسماء انما اوردناها على طريق المثال وما اكثرنا من ذكرها وتعدادها إلّا لمزيد الايضاح لان الكتبة العامة في حرفي القاف والكاف لا تقع تحت ضابط يضبطها وانما العمدة في معرفة مواقعها على السماع .

معروف الرصافي

[١] راجع في هذا الموضوع عينه ما جاء في مجلتنا هذه ٢-٢٢٣ الى ٢٣١ و ٣٠٣ الى ٣٠٩

منار التمدن العربي ؛ وجدنا تلك الحضارة العباسية على ضخامتها وبما فيها من معاهد العلم الزاهرة ودور الفنون والصناعات وخزائن الكتب والاسفار ، تستعين باقلام الخطاطين في رقم التآليف والدواوين . ومع ان صناعة الخط قد ارتقت ارتقاء عظيما . فلم يكن في طاقة الخطاطين ان يسدوا حاجة الدارسين من الكتب والرسائل؛ لذلك كانت العلوم والاداب مقصورة على طبقات من رجال الدين والحكام ومن بأيديهم زمام الرئاسة وما يتبع الرئاسة من الثراء . ولكن ابت همة المرء — وهو يتوقل مراقي الحضارة — ان تظل معرفته محصورة في نطاق ضيق ومقصورة على جماعة من ابنائه دون جماعة . ويحتكرها قوم دون آخرين : ففتقت الحاجة قريحة عبقري نادر . توصل بثاقب فكره الى اختراع آلة الطبع واعانه رفيق فاستنبط صنع الحروف . وهكذا ولدت الطباعة بالحروف في اواسط العقد الثالث من القرن الخامس عشر .

طيب الله ثرى يوحنا غوتنبرغ الالماني (المولود سنة ١٤٠٠م) الذي اخترع آلة الطبع عام ١٤٣٦ م ورضي الرحمن عن بطرس فوشر مخترع الحروف من الخشب فالرصاص ؛ وفي سنة ١٤٥٠ انشأ غوتنبرغ اول مطبعة في المعمورة ، واول كتاب طبع فيها التوراة باللغة اللاتينية .

هذا تاريخ الطباعة بالحروف، اما المطابع الحجرية فقد ابتدعها في صدر القرن الثامن عشر رجل بفاري اسمه لويس سنفلدر الذي اجازته الحكومة عام ١٧٩٩م بالاستئثار باختراعه في الطبع والكسب .

٢ ـ الطباعة في الشرق

عمت الطباعة بالحروف انحاء اوربة، ولم يفت الشرق نصيب من فيض هذا الاختراع، فما اشتهر الطبع بالحروف المنتقلة حتى اصطنع منها قوالب للغات الشرقية .

فسعى قداسة البابا يوليوس الثاني لانشاء مطبعة في عاصمة الكثلكة طبع فيها اول كتاب كان الصلوات سنة ١٥١٤ وفي جنوة بايطالية طبع الزبور سنة ١٥١٦م بالعربية والعبرانية والكلدانية واليونانية، وما عتمت ان انتشرت المطابع للغات الشرقية في اطراف العالم الغربي في البندقية وسويسرة وفرنسة والمانية .

وبعد حين انتقلت الطباعة الى المشرق. فاسس عالم اسرائيلي سنة ١٤٩٠ م مطبعة في القسطنطينية للغة العبرية اولا ، وفيها طبعت التوراة باللغة العبرية سنة ١٥٠١ معربة بقلم سعيد الفيومي .

ومن فروق دخلت الطباعة الى البلاد العربية وكان للشام فضل السبق في الاخذ بهذه الاداة النافعة فأنشأ الرهبان اللبنانيون في اوائل القرن السابع عشر مطبعة في دير قزحيا بلبنان واول كتاب عربي

طبعته هو الزبور وذلك في عام ١٥٨٥ و كانت حروفها سريانية ومنطوقها عربيا وهو ما يعرف عندهم بالكرشوني ثم استعملت الحروف العربية .

وفي حلب ظهرت المطبوعات بالحرف العربي بادىء ذي بدء: مما اصطنعه احد اساقفة الروم الملكيين في اوائل القرن الثامن عشر .

ودخلت الطباعة القدس فى فلسطين على يد الاباء الفرنسيسيين بانشائهم سنة ١٨٤٦ م « مطبعة الارض المقدسة » .

امامصر فأول مطبعة قامت اركانها فيها سنة ١٧٩٨م كانت على يد نابوليون بونابرت في حملته الشهيرة على ارض الفراعنة .

٣ ـ الطباعة في العراق

ولم يحرم العراق الاستفادة من اختراع الطبع الثمين وان جاءت استفادته متاخرة . الا ان مايلفت الانظار هو ان الطباعة دخلت العراق على يد الاجانب ايضا : نظير معظم البلاد الشرقية مما يؤصل في الاذهان اننا مدينون للغربيين في حياتنا الجديدة .

فأول مطبعة فتحت في العراق كان بفضل مبعث الاباء المنتمين الى القديس عبدالاحد المعروفين (بالدومنكيين) في الموصل سنة ١٨٥٦م: وفي هذه السنة عينها جلب الى كربلاء احد اكابر الفرس مطبعة حجرية لايذكر الناس من نتاجها إلّاسفرا بقي بكرا وحيدا .

وهانحن اولاء نثبت ما عنينا بتدوينه من تاريخ موجز للطباعة العراقية نأتي فيه على ملخص تاريخ المطابع المؤسسة في ديار العراق ونذكر ما وصل الى علمنا من ثمرات تلك المطابع من الكتب والرسائل على اختلافها : ولا ندعي العصمة في ما نكتب : الا ان غايتنا الخالصة هي اظهار صفحة من حضارة العراق الحديثة تشفع لنا في الاوهام التي تبدو منا سهوا ؛ ويسرنا ان يحظى عملنا بالقبول من لدن الادباء المحققين ؛ فينتقدوا لنا مقالاتنا هذه ويرشدونا الى مواضع الخطأ فيها ويكملوا النواقص التي يفوتنا ذكرها فنشكر لهم فضلهم بعد ان يكونوا قد ادوا لامانة العلم حقها المحتوم .

٤ ـ مطابع الموصل

١ ـ « مطبعة الاباء الدومنكيين »

الى الاباء المحترمين المنتمين الى رهبانية القديس عبد الاحد (سن دومنك) يعزى الفضل الاعظم في ادخال الطباعة الى العراق فقد حل هؤلاء الاجناد ـ اجناد العلم والدين ـ الموصل الحدباء عام ١٨٥٦م وكانت المطبعة اول مشروع وجهوا اليه انظارهم : فباشروا الطبع على الحجر اولا فطبعوا بضعة كراريس ولم يفلحوا فشمروا عن ساعد الجد واسسوا سنة ١٨٥٩ مطبعة كبيرة بجميع لوازمها مرصدين لها المبالغ الطائلة .

وفي سنة ١٨٦٠ طلب السيد هنري امانتون القاصد الرسولي الـ

بين النهرين في أثناء وجوده في باريس الى جمعية مدارس الشرق ان ترصد لمشروع المطبعة الموصلية الاولى مبلغا وافرا فاستجابت طلبه ونفحته بـ٦٠٠٠ فرنك أنفقها في جلب مطبعة وحروف عربية وسريانية وفرنسية من دار الطباعة العامة في عاصمة فرنسة وجلب لها حروفا كلدانية من مطبعة المرسلين الانكليكيين في اورمية من اعمال فارس . ونقلت كل الالات والادوات والحروف الى الموصل .

وتولى الاب كيرلس دوفال ادارة المطبعة الجديدة يعاونه الراهب يوسف الديار بكري المنتمي الى الرهبانية الفرنسيسية. وقد تعلم فن الطباعة في القدس فأتى به الى الموصل واشرف على تأسيس المطبعة وقام بتعليم احداث الموصل وشبانها فن تنضيد الحروف .

والمطبعة الموصلية هذه جهزها الاباء الدومنكيون بفرع هو سبك الحروف لم يوجد له نظير في العراق الى هذا اليوم (١٩٢٦) وقد اشتغل الراهب الفرنسيسي المذكور بتعليم صناعة سبك الحروف ايضا وطبعها بدقة وجلاء .

(لها تلو) رفائيل بطي